من المسلم في الدين اليهودي ان « عودة » اليهود مـــن الشتات الى جبل صهيون في « اورشليم » (القدس) أمر حتمي . ومن المسلم في التاريخ اليهودي ان حنين اليهود وبالذات فقرائهم الى الارض الام في فلسطين ان هو الا رد فعل عاطفي لفظاعة الحياة واليأس من صلاح الاحوال في المنفى . ولعل خير تعبير عن هذا الحنين هو نشيدهـــم الذي يجري بهذه الكلمات : « لا نزال مشردين في هذا العالم ، ولكن في العام القادم سنكون في أورشليم .. ولا نزال عبيدا في هذا العام .. ولكن في العام القادم سنكون اناسا احرارا » .

ومفهوم هذا النشيد ان ما يعذب في الشتات هو التشرد والعبودية ، وان ما يبعث الامل هو العمل لا من أجل حرية اليهود في الارض التي بها يعيشون وانما من اجـــل الخروج للعودة الى اورشليم .

ولا يسع من يقرأ التوراة الا ان يعترف بما في قصة موسى وهو يقود شعبه من أرض الفراعنة الى أرض اللبن والعسل من معان ورموز تستطيع الصهيونية ان تطوعهـــا لخدمة الدعوة بين يهود الشتات للتحرر من العبوديـــة والخوف « بالعودة الى أرض الميعاد » . ويتضح من القصة انها تفيد الصهيونية لو احسن اخراجها في لغة السينما ففيها التشرد والعبودية والامل والعمل من أجل الخروج والعودة « بالشعب المختار » الى الارض « الموروثة » . ومن هنا وقوع اختيار شركة بارامونت لصاحبها ادولـــف زوكور على قصة موسى لتنتجهـــا تحت اسم « الوصايا العشر » مرتين المرة الاولى صامتة بلا الوان عام ١٩٢٣ في أيام قل فيها أقبال بني اسرائيل على الهجرة الى أرض الانبياء . والمرة الثانية ناطقة بالالوان عام ١٩٥٦ عقب اعلان قيام دولة اسرائيل في ايام انحسرت فيها موجة هجرة ابناء « الشعب المختار » .

وفي كلا الفيلمين كان « سيسيل ب دي ميل » هو المخرج وفي كليهما كان لا هم للمخرج الامريكي — الذي شاهدناه الى جوار ادولف زوكور وهربرت روتشيلد في صورة ترجع الى أيام الرواد عقب ارسال الوعد الى لورد روتشيلد بقليل — الا ان يتنـــاول قصة موسى وبني اسرائيل اثناء وجودهم في أرض مصر ثم اثناء الخروج منها على وجه مشوه يراد به باطل هو تصوير أهل مصر وكأنهم ابناء شعب منبوذ كتب عليه ذل العيش في اغلال العبودية لفرعون وقومه الظالمين .

وهذا السبيل الذي سلكه « دي ميل » لا يثير دهشة أحد ، فالتاريخ ليس من الامور التي يهتم بها او يهتز لها ، آية ذلك انه لما اعترض النقاد على استعمال اسم الاميرة « نفرتيري » أو « نفرتيتي » في الوصايا العشر رغـــم ان التاريخ يقول ان هـــذه الاميرة عاشت في غير عصر موسى ، لم يعر اعتراضهم التفاتا وزاد من حيرة نقاده حين قال في استهتار بين ان ثمة اميرتين بهذين الاسمين يفصل بينهما قرن ونصف من عمـــر مصر القديمة . وان الاميرة العاشقة (آن باكستر) لموسى (شارلتون هستون) في الفيلـــم هي نفرتيري ونفرتيتي في آن واحد . وانه في فيلمه عن السيد المسيح « ملك الملوك » القى مسئولية موت المخلص على كايفاس بدلا من يهوذا مراعاة منه لشعور اليهود(٨) . وانما الذي يثير الدهشة ان يجيء « دي ميل » الى مصر خلال عام ١٩٥٤ ليصور فيلمه في ربوعها ، وان يشارك الجيش المصري في بعض المشاهد لشعب مصر سيما مشهـــد البحر الاحمر وهو ينفلق كالطود العظيم لينجو موسى ومن معه اجمعين ثم يغرق الله الاخرين أي فرعون ومن معه من الجنود المصريين . وان يلعب « عباس البغدادلي » — وهو ضابط مصري سابق من سلاح الفرسان — دور سائق عربة رمسيس فرعـــون مصر (يو ل براينر)(٩) . وان يتوج ذلك كله بحفل افتتاح كبير يعرض فيه فيلم « الوصايا العشر » بمدينة نيويورك يوم التاسع من نوفمبر عام ١٩٥٦ أي فور اجتيـــاح القوات الاسرائيلية لشبه جزيرة سيناء بأيام بل قل ساعات معدودات(١٠) .